



العلاقة بين التلقي والدلالة أي علاقة
دراسة في كتاب الدكتور محمد بن عبد العظيم بنعزوز
دة. هاجر حسي
تكوين الدكتوراه: اللغة والمجتمع
كلية اللغات والآداب والفنون القنيطرة – جامعة ابن طفيل
المملكة المغربية

الملخص باللغة الانجليزية:

The book addresses a series of prominent issues related to the concept of strangeness in both Arabic and Western literature. The author delves deeply into its linguistic and semantic dimensions, as well as its verbal, social, and political manifestations, with a particular focus on the Arab society during the Abbasid era. He draws on the story of “Ibrahim ibn Suleiman” as a model that exemplifies the presence of strangeness in literary texts and reveals its artistic and intellectual richness. The author also highlights the close relationship between reception and meaning, emphasizing that the richness of a literary text is realized only through the strangeness it evokes in events and imagery, granting the reader the freedom to interpret and interact according to their own culture and personal experience. Here, strangeness is not merely a deviation from the familiar; it is an aesthetic tool that opens the text to multiple possibilities of meaning, transforming reading into an active and dynamic experience in which the reader participates in constructing significance and enriching the text with literary and cognitive value. Thus, the strange text becomes a vibrant space for interaction and dialogue, far from being closed in on itself, remaining open to interpretations that renew with each reader and era. At the heart of this discussion lies a central question: how did strangeness manifest in Arabic literature during the Abbasid period, and what role did it play in the mechanisms of reception and the production of meaning within the text?.



تقديم:

يستنهض الكتاب مجموعة من القضايا البارزة المرتبطة بمفهوم الغربة في الأدب العربي والغربي على حد سواء، حيث يتناول الكاتب بعمق أبعادها اللغوية والدلالية، وتحليلاتها اللفظية والاجتماعية والسياسية، مع التركيز على المجتمع العربي في العصر العباسي، مستعيناً بقصة "إبراهيم بن سليمان" باعتبارها نموذج يُجسّد حضور الغربة في النصوص الأدبية ويكشف عن ثرائها الفني والفكري. ويكشف الكاتب عن العلاقة الوثيقة بين التلقي والدلالة، موضحاً أن غنى النص الأدبي لا يكتمل إلا من خلال ما يثيره من غربة في الأحداث والصور، بما يمنح القارئ حرية التأويل والتفاعل وفق ثقافته وتجربته الفردية. فالغربة هنا ليست مجرد خروج عن المؤلف، بل هي أداة جمالية تفتح النص أمام احتمالات متعددة للمعنى، لتصبح القراءة تجربة نشطة ومتجددة، يُشارك فيها المتلقي في بناء الدلالة وإغناء النص بالقيمة الأدبية والمعرفية. وبذلك، يتحول النص الغريب إلى فضاء حيوي للتفاعل والحوار، بعيداً عن الانغلاق على ذاته، ويظل متاحاً لقراءات متجددة تتجدد مع كل قارئ وزمان. وفي قلب هذا الطرح، تبرز إشكالية محورية: كيف تجلّت الغربة في الأدب العربي خلال العصر العباسي؟ وما دورها في آليات التلقي وإنتاج المعنى داخل النص؟

الغربة والدلالة أية علاقة؟

لا شك أن التغريب والغربة صيغ اشتقاقية صرفية لجذر واحد ومعنى واحد هو (غ. ر. ب)، أي (غرب غروب وغربة). وقد يتبادر إلى الأذهان أيضاً أن التغريب أو الغربة الذي استعمل في الرواية والمسرح مع "بريخت" وغيره من الأدباء الروائيين والكتاب المسرحيين، الذين كتبوا في موضوع الغربة أو التغريب أنه مصطلح حديث. بل هو تقنية في الكتابة الأدبية والقصصية ضاربة في القدم. والغربة ليست مجرد مصطلح عادي، بل هي مفهوم متشابك، متعدّد الطبقات، يحمل في طياته أبعاداً متعددة ويلامس دلالات متنوعة، الجوانب النصية (النحوية التركيبية والمعجمية)، وكذلك الأبعاد التداولية والذريعية الخارج نصية.

إنه ليس من شك أن الغربة مرادفاً للغموض والعمق، وتجسد شيئاً غير مألوف، يُثير الدهشة أو الاستغراب، لكنها تبقى في ذات الآن دلالة مصقولة وهادئة، تجمع بين اللامتوقع والمثير للفضول.

❖ إن الغربة وجه من أوجه المعنى. وهما متصلان ببعضهما البعض من وجهة نظر الدكتور "محمد بن عبد العظيم بنعزوز" في كتابه "الغربة بين الدلالة والتلقي"، ويعملان بعدهما كيانان نصيان منفصلان لكل واحد منهما وظيفته النصية والسردية في ذات الوقت، يجمعهما خيط رفيع وهو الخطاب السردية، والخطاب الأدبي بشكل عام. إذ تُستعمل الغربة في بعدها السردية باعتبارها أداة لتعميق الدلالات وتوسيع نطاقها في النصوص الأدبية. ومن هنا يمكن توضيح العلاقة بين الغربة والدلالة عبر تفسير مفهوم الغربة وكيف تشتغل في النصوص السردية العربية القديمة. ولتفسير هذه العلاقة وضعت تصميمًا للموضوع على الشكل الآتي:

❖ - الغربة من المفهوم اللغوي والاصطلاحي إلى الوظائف النصية السردية والوظائف الدلالية في النصوص القصصية.

❖ المفهوم اللغوي:

تعرف الغربة بكونها كل خارج عن المؤلف أو كل ما خالف ما تعارف عليه البشر من السنن والقوانين والعادات والتقاليد الاجتماعية إلى غير ذلك...

❖ والغربة نوعان:

أ- غربة معجمية ونحوية تهم اللفظ والتركيب والمبنى، مثل ما اتصفت به مجموعة من قصائد الشعراء الجاهلي و صدر الإسلام، بحيث اتصفت الكثير من ألفاظ قصائد الشعر الجاهلي بالغربة والصعوبة والندرة، واتصفت قصائد صدر الإسلام والأندلسي (البحري) بصعوبة النظم والصياغة، فكانت نموذج الفردة والغربة.



ب- غرابة في الدلالة: وهي غرابة متعلقة بالمعنى عندما يتجسد في ضروب الحياة الاجتماعية وصورها المادية والمجردة معا. "يكمن جوهر الغرابة في الحياة، وفي الفن، وفي الأدب في تلك العلاقة التي توجد بين الموت والحياة، وكذلك في آلية التكرار، في انتفاء الألفة، وغياب الشعور بالأمن، وحضور الخوف في الحياة. كل ما هو ضد الأمن غريب، وكل ما هو ضد الألفة غريب، وكل ما هو ضد الفرح غريب، والأكثر من هذه الغرابة نفسها أن تتحول الأشياء، التي كان ينبغي النظر إليها على أنها غريبة، إلى أشياء عادية ومألوفة."¹

وإن من معانيه: "حضور الموت في الحياة، وحضور الحياة في الموت، ومن معانيها أيضا ظهور المألوف في سياق غير مألوف، وظهور المألوف في الأفكار والتصورات والانفعالات القديمة التي اعتقدنا أننا تجاوزناها أو كبتناها، ظهورها الآن، في الحاضر، في سياق زمني ومكاني غير مألوف لظهورها"²

2- تجليات الغرابة (الغرابة بين حضارتي الشرق والغرب)

يلاحظ الدكتور "محمد بن عبد العظيم بنعزوز" في كتابه "الغرابة بين التلقي والدلالة" أن الغرب يحصر الغرابة في الأدبي العربي القديم في السحر والشعوذة من خلال أعمال عربية خالدة كـ "مصباح علاء الدين" و "علي بابا" و "الأربعين حرامي"، مذكرا إياهم بأن ما تعتبره الحضارة الغربية اليوم فريدا وغريبا من التقدم التكنولوجي، فالمخيلة الشرقية من حبلت به. يقول الدكتور بنعزوز: "إن ما كان جزءا من عالم الخرافة والغرابة في الشرق وأقصاه أصبح حقيقة وجزئا من عالم العلم والغرابة الغرب وامتداداته. فما ابتكرته المخيلة الشرقية في القديم، وكان يعتبر خرافة، تم تحقيقه في الغرب باعتباره إنجازا علميا وتكنولوجيا. فكلنا يتذكر قصة "علي بابا" وهو يخاطب باب الكهف: "افتح يا سمسم" فيفتح الباب بسرعة، والسندباد الذي يطير في الهواء على بساطه. ألم يعد الإنسان اليوم يقف أمام الأبواب فتفتح له ويمتطي الطائرة فتطير به في الفضاء؟"³

3- وظائف الغرابة في النصوص الحكائية العربية القديمة.

من وظائف الغرابة في النصوص القصصية السردية:

➤ إثراء الدلالة : يربط الدكتور "محمد بنعزوز" في كتابه الغرابة بين التلقي والدلالة في السرد العربي القديم، ويعتبر التلقي وسيط بينهما، "فالغرابة ناتجة عن التلقي، والدلالة ناتجة عنهما معا"⁴. وهذه العناصر تترابط فيما بينها بحيث لا يمكن تصور غرابة بدون تلق ولا تلق دون دلالة "بحيث ناقش الغرابة من خلال قناة التلقي الذي يعني تأويل متلقي معين لمقصده ما للمؤلف، فالقراءة والتأويل من لدن القارئ هي التي تعطي للنص حياة فلا دلالة ولا معنى في غياب القراءة أو التلقي، وهذا التصور قريب شيئا من مقولة الكوجيطو للفيلسوف كانط والتي تقول "ما دمت أفكر فأنا موجود" فمعنى كل شيء في الوجود مرتبط بالتفكير أو التأمل ومرهون بوجود كائن مفكر، هناك مادة أدبية لكنها تحتاج إلى مستهلك لها تفسيرا وتحليلا وتوضيحا وتدبرا وتطبيقا وعملا. وهذا من شأنه أن يجعل النص الأول نصوصا أخرى مما يؤدي إلى إثراء المعنى الأول. وهنا يبرز أيضا دور المؤلف الذي تم الإشارة إليه في تراثنا النقدي العربي بشكل سابق لتصوير نظرية التلقي، فهي هو اللغوي وفيلسوف زمانه الجاحظ يسوق تعريفا يجمع بين نظرية التلقي والمنهج النفسي واللساني في تعريف "بلغ قديم" للبلاغة باعتبارها درجة من سلم المعنى عند العرب وعلماء من علومه، وهو: "من أبهى ما قرأت في تعريف البلاغة وأجمله، وأقربه إلى مباحث جوامع الكلم وكليات الدلالة، قول أبي عبد الرحمن، صحرار بن عياش بن شراحيل بن منقذ العبدي، من بني مرة، المتوفى نحو 40 للهجرة، لما سُئل عن بلاغة قوم، ما هذه البلاغة فيكم، فأجاب: «شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على السنين» البيان والتبيين، لأبي عثمان

1 - شاعر عبد الحميد، الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب، ص 8.

2 - شاعر عبد الحميد، الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب، ص 9.

3 - الغرابة بين الدلالة والتلقي، بنعزوز، ص 6.

4 - المرجع نفسه، ص 6-



الجاحظ⁵ وبتأويلنا لقول صحار نجد أن ما تنطق به أفواهنا فهو نتاج بما تجيش به صدورنا وهو بطبيعة الحال حصيلة لما عشناه في حياتنا اليومية، أي انعكاس لتجربة الكاتب الإنسانية والاجتماعية والنفسية في مجتمع ما، فالكتابة أو الإبداع حالة نفسية أو اجتماعية لكاتب ما في ظل ظروف زمنية ومكانية ما في مجتمع ما. ولتوضيح فإن البلاغة هي أحد أوجه الدلالة وأصناف المعنى ودرجاته. إذن فإن الغرابة من هذا المنظور تفتح الباب أمام معانٍ متعددة وغير مألوفة. عندما يتعرض القارئ لشيء غريب أو غير متوقع في النص، فإنه يُحفز ذلك مخيلته للبحث عن معانٍ جديدة وأبعاد مختلفة قد لا تكون ظاهرة في السرد المعتاد. هذه الدلالات الجديدة قد تعبر عن قضايا فلسفية—اجتماعية، أو نفسية بطرق غير تقليدية. لكن لا تخرج عن دائرة التلقي القارئ هو المحقق لنبوءة المؤلف هو المقصود بكتابة العمل أو إنتاجه.

➤ **كسر المؤلف والنمطي في مخيلة القارئ التقليدية:** تسهم الغرابة في كسر الأنماط التقليدية للدلالة، مما يدفع القارئ إلى إعادة التفكير في المعاني التي قد يكون قد افترضها عندما يصطدم بأحداث ووقائع ذات دلالات جديدة وغريبة لا تمت بصلة إلى القيم التي تربى عليها أو عايشها، فهناك خرق لأفق التوقع والانتظار لدى القارئ، الذي يُجبر على مغادرة منطقة الراحة الخاصة به والبحث عن تفسيرات جديدة أو غير متوقعة.

➤ **إثارة الدهشة والتأمل:** إن الغرابة والعجب عنصران جماليان في القصة بفعل التأثير الذي يخلفانه في نفس القارئ، فإذا كان اليونان يعتبرون مدار الجمال في الشعر (...) يكمن في مقولتهم المشهورة: "أعذب الشعر أكذبه"⁶، فإن هذا النوع من القصص والحكايات الغريبة والعجيبة تدعونا إلى القول بأن أعذب القول أغربه وأصدقّه". ويسترسل الدكتور "محمد بن عبد العظيم بنعزوز" مبرر ما ذهب إليه "لأن النفس تنوق دوماً إلى هذا الغريب الصادق الذي يتجاوز المؤلف إلى غير المؤلف فيحقق متعة النفس لا يحققها القصص الذي يحاكي الواقع في حدوده المعروفة." "إن الغرابة تستدعي انتباه القارئ أو المتلقي وتدفعه إلى التأمل في ما وراء النص، مما يؤدي إلى الكشف عن دلالات خفية أو معقدة. هذا النوع من التأمل يجعل النص أكثر ثراءً بالدلالات ويعمق تجربة القراءة.

➤ **التعبير عن اللامألوف أو المسكوت عنه:** الغرابة قد تُستخدم للتعبير عن موضوعات أو قضايا يصعب تناولها بطرق تقليدية. من خلال استخدام الغرابة، يمكن للكاتب أن يسلط الضوء على دلالات تتعلق باللامرئي مثل الرمزي والمجرد مثل القضايا التي تتصل بالعقيدة مثل الرؤى والكرامات أو المسكوت عنه من المظاهر والظواهر الشاذة في المجتمع العربي المنافية لتعاليم الدين الإسلامي مثل الزنى وممارسة الرذيلة وإتيان المحرمات والخيانة، أو الأحداث التي تحدث في أروقة البلاطات وتخص الأسر الحاكمة وتخرج أسرارها إلى العامة وتكون صادمة ومثارة لإثارة الاستغراب والدهشة بين العامة، والعلم بما يجعلها أداة فعالة في النقد الاجتماعي أو الفلسفي.

وعليه فإن الغرابة تُسهم بشكل فعال في تعميق الدلالة داخل النصوص الأدبية، وتعمل على فتح آفاق جديدة أمام القارئ لاكتشاف معانٍ غير مألوفة وغير تقليدية.

الأهداف والغايات المتوخاة من الغرابة:

- نيل الحصة والمكانة الرفيعة في المجتمع:

وفي هذا الصدد يورد الدكتور "محمد بن عبد العظيم بنعزوز" في سياق تعداده للأهداف التي يراهن عليها مؤلفوا القصص والحكايات العربية القديمة في النصوص السردية وأثرها على المتلقي، حيث يقول: "عن هذه الوظيفة الدلالية ذات المنفعة الاجتماعية— قال ابن هذيل نقلاً عن عمر بن شبة: عليكم بطريف الأخبار فإن من علم الملوك والسادة، بما تنال المنزلة والخطوة منهم"⁷

- تحقيق الامتناع والبسط في المجالس:

⁵ - تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، 1418/ 1998، ج: 1، ص: 96.)) .

⁶ -

⁷ - الغرابة بين الدلالة والتلقي، ص



ويقول في هذا الموضوع: قال ابن هذيل عن مقالاته بما تتضمنه من حكايات وغيرها بأنها "تمتع المجلس، وتبسط النفوس، وتنبه على حسن السياسة، وترغب في الأفعال الموجبة للسؤدد والرياسة، وتحم الطباع، وتنهض في المحاضرة القصير الباع. وهذه أولى إشارات النقد العربي وتنبيهه إلى وظائف الخطاب القصصي أو السردى. هذا من جهة ومن جهة أخرى فهنا إشارة بشكل صريح إلى فاعل وشريك أساس في العملية الإبداعية والأدبية ألا وهو المتلقي. ووصف دقيق وتأريخ لطبيعة المتلقي ودرجاته، ومستوياته في السلم الاجتماعي لبلاد العرب. لذلك فإن ابن هذيل يجزم بأن هذا الأدب فهو أدب الخاصة، لكثرة ما وجد من اهتمام عندهم به. وليس العامة لشدة غرابته بما تضمنه من نوادر وفوائد موجهة للملوك والأمراء والولاة ووجهاء وسادة القوم، ولن يفهمها إلا هم.

وفيما يلي أصوغ أمثلة لغايات وأهداف الغرابة مما ساقه "الدكتور عبد العظيم بنعزوز" في كتابه الغرابة بين التلقي والدلالة عبر تحليله لقصة إبراهيم بن سليمان.

الغاية منها	نوعها	دالتها	الغرابة
إثارة الدهشة والتأمل	تعبير عن لا مألوف أو المسكوت عنه.	تمكن العباسيون من الاستيلاء على مقاليد الحكم، واضطر الأمويون إلى الهروب والاختفاء خوفاً من بطش الحكام الجدد، الذين قتلوا العديد منهم.	"لما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفى رجال من بني أمية، فكان ممن اختفى إبراهيم بن سليمان"
إثارة الدهشة والتأمل	تعبير عن لا مألوف أو مسكوت عنه	أن يدفعك الخوف إلى الخروج من ديارك لتدخل وكر عدوك. فإبراهيم بن سليمان غادر الشام، معقل الأمويين ليختبئ ويختفي في الكوفة معقل العباسيين. فالغريب هو تصبح الكوفة أكثر أمناً من دمشق وحلب...	" فبينما أنا ذات يوم على سطح بيت نظرت أعلام سود، قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في روعي انها تريدني، فخرجت من الدار متنكرا حتى دخلت الكوفة."



إثارة الدهشة والتأمل	تعبير عن لا مألوف أو مسكوت عنه	من المثير للعجب والاستغراب هو أن يقودك قدرك إلى من يبحث عنك كل يوم، ليهدر دمك.	"فكثرت تعجبي من إدبارنا، إذ ساقني القدر إلى الاختفاء بمنزل من يطلب دمي."
إثارة الدهشة والتأمل.	تعبير عن لا مألوف أو مسكوت عنه.	العجيب أن تقيم عند من يحمل في صدره ضدك ثأرا وتقضي في بيته حولا كاملا يتحمل مأكلك ومشربك وملبسك دون مقابل.	"فمكثت عنده حولا في كل ما أحب من مطعم ومشرب وملبس، لا يسألني عن شيء من حالي."
إثارة الدهشة والتأمل.	تعبير عن لا مألوف أو مسكوت عنه.	رغم أنه يخرج كل يوم بحثا عن قاتل أبيه ليثأر منه، وعندما وجده. اتخذ قرارا غريبا بأن يعفوا عنه، ويتركه يذهب لسبيل حاله، تاركاً أمر استرجاع حق دم أبيه للآخرة.	"أما أنت فستلقى أبي فيأخذ بحقه منك، وأما أنا فغير مخفر ذمتي منك."



➤ دور الغرابة في تقوية البنية الحكائية:

➤ الغرابة أداة من أدوات الدلالة:

أما الدلالة في منهج الدكتور "محمد عبد العظيم بنعزوز" فهي لا تتعلق تعلقاً كبيراً بالمبنى بقدر ما تتصل بمعانيها الأصلية في الظروف الاجتماعية والسياسية والتاريخية التي أنتجتها من أمكنة وأزمنة وشخصيات... يقول الدكتور معبراً عن ما ذهبنا إليه: "لتفسير النص لابد من ربط ما بداخله بما هو خارجه. وخارج النص هو ظروف إنتاجه ومؤلفه ومتلقيه".⁸ متوسلاً بالمنهج النقدي المناسب لتتبع أثرها في النصوص القصصية المدروسة بطرق نقدية تفتتح على الأدوات النقدية والسردية والتحليلية المناسبة. في إطار تواصلها⁹ يفترض في أبسط صوره وجود كاتب ونص ومتلق. كاتب وخلفيته الفكرية والثقافية، ونص يحيل على هذه الخلفية، ومتلق يتعرف على هذه الخلفية ويكتشفها، أو أنه يعرفها ويعمق معرفته بها.

وإذا ما تأملنا في حديث الدكتور "محمد بن عبد العظيم بنعزوز"، نجد أن تصوره النقدي لتحليل النصوص القصصية العربية القديمة يلتقي مع العديد من النظريات النقدية الأدبية والسردية، التي تدعو إلى التوقف عن الاعتقاد بأن معنى النص محصور فيما تراض فيه من ألفاظ وفق مبنى وتركيب معين، بل يجب ربط النص بسياقاته الداخلية والخارجية معاً؛ فالنص بطبيعته متعدد الأبعاد؛ فنجد من أبعاده الكاتب الذي يكتبه، والقارئ الذي يتلقاه، وهنا يفتح الدكتور على نظرية التلقي. وعندما يتحدث عن ظروف إنتاج النص الاجتماعية، فإن كلامه يحيلنا على نظرية علم اجتماع اللغة، التي أفرزت المنهج النقدي والأدبي المعروف بالمنهج الاجتماعي. وبالمثل، فإن تصوره لا يبتعد عن المنهج التحليلي النفسي الذي يركز على دراسة سلوك الشخصيات لتحليل دلالتها الاجتماعية وكل ما سبق، يدل على مدى شمولية التصور المنهجي للدكتور "محمد بن عبد العظيم بنعزوز" وجهوده وسعيه للوصول إلى الكفاية الوصفية والتأويلية المناسبة لتحليل وتفسير النصوص القصصية التراثية في أدبنا العربي. وقد أعلن في العديد من مداخلاته ومحاضراته العلمية عن رغبته في فتح مشروع علمي وبخني لتأصيل المنهج الأدبي النقدي الإسلامي، بناءً على هذه الأطر العلمية والنقدية، رغبةً في تطوير المناهج العربية النقدية وضمان ريادتها عالمياً، ومنح النصوص القصصية والأدبية العربية والإسلامية المكانة الرفيعة التي تستحقها، من أجل تأويل أفضل للتراث العربي

خاتمة: إن جهود الدكتور بنعزوز تبرز رؤية نقدية متكاملة، تجمع بين التأصيل العلمي والإبداع في التأويل، لتقديم فهم أعمق للنصوص القصصية التراثية، وضمان استمرارية حضورها وفعاليتها في الدراسات الأدبية الحديثة

⁸ - الغرابة بين الدلالة والتلقي، ص 77.

⁹ الغرابة بين الدلالة والتلقي



لائحة المصادر والمراجع:

- شاعر عبد الحميد، الغربة المفهوم وتحليلاته في الأدب، 2010 / 1927.
- محمد بن عبد العظيم بنعزوز، "الغربة بين التلقي والدلالة في السرد العربي القديم"، مؤسسة اليمامة الرياض، ط.1، 1430هـ/2009م.